خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

في ٢٠١٣/٦/٢١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١-٧٢)

في هذه الآيات قال الله ﷻ لافتا أنظارنا إلى التقوى: "قولوا قولا سديدا". وفي هذا الخصوص يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: القول السديد أن تتكلموا ما هو قويم جدا ويتسم بمنتهى المعقولية، ولا يشوبه لغو وفضول وكذب قيد شعرة.

وفي موضع آخر قال عليه السلام: أيها المؤمنون، اخشوا الله وتكلموا كلاما صادقا وسديدا بالحق والحكمة.

ثم قال: لا تتكلموا بلغو، وتحدثوا بما يقتضيه المحل والمناسبة.

فمن كل هذه الأقوال للمسيح الموعود عليه السلام يتضح أن الفوز بالتقوى بحسب ما أمر الله ﷻ لا يتحقق إلا إذا تمسكتم بالصدق في الأوضاع الصعبة والسهلة وعند اتخاذ القرارات وعند الإدلاء بالشهادة وعند التحدث مع الزوجة والأولاد في البيت وفي المعاملة مع الأقارب والأصدقاء أيضا وعند شراء أي شيء أو بيعه في التجارة، وفي الوظيفة.. أي في موضع العمل، وفي المعاملة مع صاحب العمل أيضا. وفي كل مناحي الحياة وفي كل مناسبة. يقول الله ﷻ: ينبغي أن يصدر من أفواهكم الصدقُ المحض فقط، بحيث لا يشوب كلامكم أي غموض والْتباس بحيث يمكن أن يستنبط منه كلٌّ بحسب هواه. يجب أن تتمسكوا بالصدق حتى لو أدى إلى خسارة فتحمَّلوها، ولا تدَعوا صدقكم وسدادكم يتعرض للطعن. فبعض الناس يظنون أنه إذا صدر شيء من الكذب في شئون الحياة اليومية فلا بأس به، لكن الله ﷻ يقول: بل به بأس وذلك لأن معيار تقواكم يتضاءل ويمكن أن تؤدي بكم ضآلةُ التقوى هذه إلى الكذب وقول الزور، أو أن يبتعد

المرء عن الصدق نهائيا ويسقط في هوة الكذب، ويبتعد عن الله أو يكون مردودا من الله لكونه غير متمسك بالصدق. فالله ﷻ يقول إنكم إذا كنتم مؤمنين فتمسكوا بالقول السديد دوما متحلين بالتقوى.

قال عليه السلام: من مقتضى القول السديد أن يكون الكلامُ الذي يصدر منكم معقولا. بل عليكم ألا تقولوا كل شيء دائما وإن كان صدقا. فأحيانا يكون الكلام صادقا، ومع ذلك فلا ينبغي أن يُذكر كل قول حق في كل مكان، فهذا ليس معقولا بل قد يتسبب في الفتنة والفساد، إذ بإفشاء سرِّ أحد تفسد العلاقات العائلية، وتفسد العلاقات المتبادلة في المجتمع. وهذا القول نفسه يصبح في مناسبة أخرى ضروريا، مع أنه في ظرف آخر لا يكون مقبولا؛ فبعض الأمور مثلا تُرفع إلى الخليفة قصدَ الإصلاح، فمثل هذه الأمور لا ينبغي ذِكرها في كل مكان، أما عند الخليفة فلا بأس.

فالقول نفسه يكون موجب فتنة في مناسبة وفي مناسبة أخرى يؤدي إلى الإصلاح. ثم شرح عليه السلام المعقولية أكثر بأن لا يصدر أي نوع من اللغو والفضول باسم القول السديد. فبعض الناس ينقلون قولا صحيحا باسم الإصلاح على حد زعمهم لكنهم يُضيفون من عند أنفسهم بعض الأمور شرحا، فمثل هذا القول لا يبقى قولا سديدا، بل بذلك يُقتل القول السديد أحيانا. حيث إنّه نتيجة إضافة كلمة أو كلمتين للقول بقصد الشرح أمام المصلحين أو أمامي يُبعده عن الحقيقة. وفي النهاية يُتخَذ طريق خاطئ للإصلاح بدلا من الطريق الصحيح فيترتب عليه ضرر بدلا من الإصلاح. ففي بعض الأحيان يمكن الإصلاح بالتفهيم رفقا ولطفا أو غضّ الطرف أو العتاب البسيط، لكن كلمة واحدة فقط تدفع المصلح أو صاحب القرار إلى قرار قاس، فيحدث الضرر بدلا من الإصلاح. لذا قال عليه السلام: يجب مراعاة الحكمة أيضا إلى جانب الحق والصدق، فإذا كانت هناك حكمة كان القول سديدا. والحكمة تقتضي أن يكون الهدف تحقُّقَ إصلاح المجتمع وإقامة الأمن على كل مستوى، لا الفتنة.

فنظرا إلى هذه الحكمة كما مر سابقا أيضا يجب أن يكون الكلام ملائما للمحل والمناسبة، أي أنّ الكلام الصادق الذي لا يراعي الحكمة ولا المحل والمناسبة ليس قولا سديدا، بل لغو وفضول. وهذا الوضع يُكسب المرء سخط الله بدلا من رضوانه ﷻ. فالمؤمن بأمسّ حاجة إلى مراعاة دقائق القول السديد سائرا على دروب التقوى، فثمة حاجة للنظر إلى دقائق التقوى، فإذا نظر المرء إلى هذا الأمر بدقة فسوف يقع عليه نظرُ حب الله ﷻ.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن الإنسان يجب أن يراعي دقائق التقوى. (أي يجب أن يضع في الحسبان دقائق التقوى) ففيه سلامته، فإن لم يبال بالصغائر فهي نفسها ستجعله مرتكبا للكبائر أيضا، فيتولد في الطبع الكسلُ واللامبالاة، الأمر الذي يؤدي إلى الهلاك. فقد قال عليه السلام: ضعوا نصب أعينكم دوما الفوز بأسمى مدارج التقوى وهو يتطلب مراعاة دقائق التقوى.

ثم يقول عليه السلام في موضع: لا تتحقق البحبوحة الحقيقية والراحة دون التحلي بالتقوى، والتحلي بالتقوى شرب كأس السم، (*أي هو صعب جدا، إذ إن بيان القول الحق متحليا بالتقوى أيضا يلقي المرء أحيانا في مشكلة*) فقد قال عليه السلام: إن الله ﷻ يهيئ للمتقي جميع أسباب الراحة، (*فقد قال*): ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطَّلاق ٣-٤). (*فوسيلة الحصول على البحبوحة هي التقوى، إلا أنه لا ينبغي أن نقدم الشروط للحصول على التقوى*) فبالتحلي بالتقوى ستُعطَون كل ما تَسألون، إن الله رحيم وكريم.

فاتقوا الله يعطيكم ما تطلبون، باختصار إذا أحرز المرء كل عمل بدافع التقوى سواء في بيان الصدق أو عمل آخر فسوف تستقيم أعماله. ينبغي أن لا تستهينوا بأي حكم من أحكام الله، أما حكم القول السديد فعليه أساس سلام المجتمع وإصلاحِه. ولذلك ضمّ النبي ﷺ هذه الآيات إلى التي تُقرأ بمناسبة عقد القران الذي هو إعلان إسلامي لاقتران الرجل والمرأة، ووسيلة للنسل القادم. لكنه كما قلت إن نطاقه لا ينحصر في البيت فقط، بل هو ممتد إلى المجتمع كله، وبه يمكن إثارة الفتنة أيضا في المجتمع والأمن والسلام أيضا. فالعمل به ضروري جدا كما يريد الله ﷻ.

يقول الله ﷻ في الآية المذكورة: إن سعيكم للبحث عن أدق دروب التقوى ومحاولتكم التمسك بجزئيات القول السديد سيورثكم أفضال الله ﷻ وسوف يُصلح الله أعمالكم، وبالتمسك بالصدق ستصدر منكم الحسنات، ونتيجة القول السديد سوف تتمكنون من اجتناب اللغو أيضا. فالإعراض عن اللغو بحد ذاته يقود المرء إلى الأعمال الحسنة ويُبعده عن السيئات. فهناك حديث مشهور نسمعه كثيرا أن شخصا أخذ منه النبيُ ﷺ العهد بأنه سيتمسك بالصدق ولن يكذب في أي حال، وإذا فعل ذلك فسوف يستفيد ويتمكن من ترك السيئات أيضا. فحين وفى بهذا العهد تخلَّص من جميع الصغائر والكبائر. فحين يتخلص الإنسان من السيئات والذنوب فإن وعْد الله ﷻ وفعْلَه يوفقه لإصلاح أعماله. وبذلك ينضم إلى أولئك الذين ينجزون أعمالا صالحة، ثم لا يتوقف الأمر عند نيلهم أجر الأعمال الحسنة التي ينجزونها فقط بل الله ﷻ يغفر للمتقين ذنوبهم السابقة أيضا. يقول الله ﷻ لن يتم إصلاح أعمالكم فقط بل ﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾ أي سوف يغفر لكم ذنوبكم السابقة أيضا. فإذا داومتم على الاستجابة لأوامر الله ﷻ ورسولِه وتمسكتم بالتقوى ووُفِّقتم لإحراز الحسنات واجتنبتم الفتنة والفساد وواظبتم على العمل بجميع أحكام الله التي أعطاها ﷻ المؤمنَ ليكون مؤمنا حقيقيا، والتي أكد عليها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في موضع قائلا:

"إذا عملتم بأوامر القرآن الكريم الـ: ٧٠٠ لكنتم مؤمنين حقيقيين."، وبسبب كونكم مؤمنين سيُغفر لكم ما تقدّم من ذنبكم. ولكن ليس المراد من ذلك أن يستمر الإنسان في ارتكاب الذنوب وسيغفر الله تعالى له دائما، بل المراد هو أن الإنسان يبتعد عن الذنوب رويدا رويدا نتيجة إصلاح النفس. وبسبب الاستغفار يحرز الإنسان قوة ضد الذنوب. فلما قال الله تعالى: "يغفر لكم ذنوبكم" كان المراد أنه سيغفر الذنوب السابقة ويهب الإنسان قوةً ضدها في المستقبل. وبالتالي فإن سلسلة الأعمال الصالحة الجارية تُكسب الإنسانَ رضا الله تعالى. ويقول الله تعالى أن هذا هو الفوز العظيم أن يفوز الإنسان برضا الله تعالى. إذًا، لا بد من طاعة الله ورسوله الكاملة للحصول على هذا الفوز العظيم، ولا بد من أن يجعل عيشه مطابقا تماما لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا بد من الاستعانة بالله تعالى للعمل بها. وهذه القوة تُنال بواسطة الاستغفار. وعندما ينال المرء هذه القوة تصدر منه أعمال صالحة تلقائيا، ويرشده الله تعالى إلى مزيد من الأعمال الصالحة ويُعَدّ هذا الإنسان من المؤمنين الحقيقين الذين يثبتون على الصدق وينشرونه، ويُعَدّ من المؤمنين الذين يتّقون الله ﷻ. فالتقوى تؤدي بالمرء إلى الفوز العظيم، والمتقون هم الذين ينالون فوزا عظيما. فيأمر الله تعالى المؤمنين إن كنتم تريدون أن تكونوا مؤمنين حقيقيين عليكم أن تجعلوا هذا الأمر هدفا لحياتكم.

فعلينا أن نسعى للعمل بالأمور السابقة المذكورة. والآن سأقدم بعض المقتبسات الأخرى للمسيح الموعود عليه السلام التي تبين كيف يجب أن نقول الحق وبأية مناسبة يجب أن نقوله، وما هي الأساليب المختلفة لبيانه. فيقول عليه السلام: "الحق أن

الفِراسة شيء جميل، *(أي إذا كان الإنسان يتحلى بالفِراسة يدرك في باطنه أن قائل هذا الكلام صادق)* الصادق يتسم بالشجاعة والبسالة، والكاذبُ يكون جبانا. والذي كانت حياته ملطخة بالنجاسات والذنوب يكون خائفا دائما ولا يقدر على المقاومة، ولا يستطيع أن يعلن صدقه بالشجاعة والبسالة مثل الصادق ولا يستطيع أن يثبت طهارة نفسه. تأملوا في الأمور الدنيوية مثلا مَن ذا الذي وهبه الله تعالى شيئا من الشوكة والجاه ولا يكون له حساد؟ بل كل مَن كان ذا شوكة وجاه كان له حساد لا محالة ويلاحقونه دائما. والحال نفسه ينطبق على الأمور الدينية. الشيطان عدو للإصلاح، فعلى الإنسان أن يسوّي حسابه دائما وأن تكون معاملته مع الله تعالى سوية. *(لا شك أن الشيطان يلاحق الإنسان ولكن إذا كان الإنسان يتحلى بالصدق الباطني وكانت معاملته مع الله سوية فلا داعي أن يقلق)* عليه أن يُرضي الله تعالى ثم لا يخاف أحدا ولا يبالي بأحد. وليجتنب الأمور التي تجعله محط عذاب الله."

عندما يقع الإنسان في الأخطاء يحل به العذاب ويواجه العقاب. إذا اعتصم الإنسان بالصدق وصبر على الحسنات وكسب الأعمال الصالحة واجتنب السيئات لا يواجه العذاب والعقاب.

" ولكن هذا كله لا يتسنى بسعي الإنسان فقط بل كل ذلك يتم بالتأييد الغيبي والتوفيق الإلهي فقط."

عندما يكون الإنسان حائزا على تأييد الله تعالى وتوفيقه يحظى بكل ذلك. ولهذا الغرض لا بد من الاستغفار والخضوع أمام الله تعالى. فيقول المسيح الموعود عليه السلام بأن سعي الإنسان وحده لا يُنجز شيئا ما لم يحالفه فضل من الله. يدّعي الإنسان كثيرا ويقول سأفعل كذا وسأفعل كذا، ولكنه لا يستطيع، وخاصة أنّ سعي الإنسان لا يقدر أن يُنجز شيئا قط في الأمور الدينية، فلا يوفَّق الإنسان لخدمة الدين ولا يفوز برضاه تعالى إلا بفضل الله تعالى.

يتابع المسيح الموعود عليه السلام ويقول: "سعيُ الإنسان لا يُنجز شيئا ما لم يحالفه فضل من الله، خُلق الإنسان ضعيفا. الإنسان ضعيف ومليء بالأخطاء ومحاط بالمشاكل من كل حدب وصوب."

فعلى الإنسان أن يدعو الله تعالى دائما أن يوفقه لكسب الحسنات ويورثه فيض أفضاله. فيجب الانتباه إلى هذه الأمور جيدا. الإنسان يواجه الصعاب في الدين والدنيا أيضا، فإن بَقِيتم ثابتين على الصدق والتقوى في كل موطن وانتبهتم إلى أعمالكم فستزول المشاكل كلها بفضل الله تعالى. ففي بعض الأحيان يواجه الإنسان موقفا صعبا في سبيل صدق المقال ولكن إذا كان ظاهر المرء وباطنه سيان فلا داعي للقلق إذ سوف تزول المشاكل تلقائيا. ولا يواجه الإنسان موقفا صعبا في سبيل قول الحق من قِبل الأغيار فقط بل يواجهه من قبل المعارف أيضا أحيانا، فبعض المعارف يملكون طبائع مختلفة، ومنهم من تعوزهم التقوى، لذا يواجه المرء مصاعب من طرفهم أيضا.

فمثلا تُعقد في هذه الأيام انتخاباتٌ في فروع الجماعة المختلفة في العالم. وتصلني الشكاوى أن أحدا من أفراد الجماعة صوّت لصالح أحد ثم جاءه مسئول في الجماعة يسأله لماذا أدليت بصوتك في حق فلان؟ بينما من المعلوم أن كل شخص في الانتخابات في الجماعة حرّ في إبداء رأيه، ولا يحق لأحد أن يسأله لماذا أدليتَ بصوتك بحق فلان أو فلان. إذا صوّت أحد لصالح شخص معين معتبرا إياه أهلا لذلك فلا يحق لأي مسئول أن يسأله لماذا أدليتَ بصوتك لصالحه؟ فإذا وُجد في الإنسان شيء من الضعف والأخطاء فلا يستطيع أن يبدي برأيه بصدق مرة ثانية، لأنه يخشى أن يُمسَك بأخطائه

ونقاط ضعفه. فيقول بعض الناس نتيجة قلة التقوى بأننا نخاف أن يكنّ هؤلاء المسئولون ضغينة في قلوبهم ضدنا. فمثل هذا الكلام يدل على قلة التقوى والضعف في صدق المقال.

فليكن معلوما دائما أنه إذا أظهر أحد رأيه الذي يراه رأيا صادقا وحقا فهذا هو الصدق الحقيقي. والتقوى الحقيقية هي أن يكون المرء منتبها إلى هذه الأمور بصدق القلب كما قال المسيح الموعود عليه السلام أنه يجب على الإنسان أن يسأل الله فضله دائما، وإذا حالفه فضل الله لن يضره أحد. وفي بعض الأحيان يبطش الله تعالى بالذين يكنّون الضغائن من هذا القبيل لأن قدر الله تعالى يعمل عمله. وإن نظام الجماعة ليس بالذي يمكن للإنسان أن يفعل فيه ما يشاء ويستمر في ذلك كما يحلو له بل لا بد أن يقع تحت بطش الله حينا من الأحيان.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: "يلاحَظ بشكل عام أن الناس يعتقدون بالشهادة "لا إله إلا الله" ويصدِّقون النبي ﷺ باللسان ويصلّون في الظاهر ويصومون أيضا ولكن لا توجد فيهم روحانية قط. ومن ناحية ثانية إن سلوكهم على النقيض من الأعمال الصالحة يشهد أنهم لا يكتسبونها كأعمال صالحة بل بصورة التقليد والعادة لأنها لا تحمل في طياتها شائبة من الإخلاص والروحانية، وإلا لماذا لا ترافقها بركات الأعمال الصالحة وأنوارها؟ تذكّروا جيدا أنه ما لم يكسب المرءُ الأعمالَ بصدق القلب والروحانية فلا فائدة منها ولن تنفعه قط. ولا تسمَّى الأعمال أعمالا صالحة ما لم تكن بريئة من كل أنواع الفساد. الفساد ضد الصلاح، والصالح من كان بريئا ونزيها من الفساد."

إذًا، لو بدأت المساءلة على كل صغيرة وكبيرة وتم تخويف الناس فهذا أيضا نوع من الفساد. فعلى المرء أن ينتبه إلى ذلك ويفحص نفسه دائما أن عليه أن يكسب الأعمال الصالحة، ويعلم أن كسب الأعمال الصالحة وإصلاح النفس غير ممكن إلا إذا شاء الله. وقد بيّن الله علامة المتقين الذين يسلكون مسالك التقوى الدقيقة أن أيّ عمل من أعمالهم لن يُعدّ صالحا حقيقةً ما لم يكن صالحا في نظر الله. ولجعل الأعمال صالحة في نظر الله هناك حاجة إلى الحصول على فضل الله تعالى والخضوع أمامه واستغفاره.

ثم يقول عليه السلام: "يظن المرء أن في التفوه بكلمة "أستغفر الله" باللسان فقط كفايةً، ولكن تذكّروا أن التفوه والتباهي باللسان لا يكفي وإن قال الإنسان "أستغفر الله" باللسان ألف مرة أو سبّح الله مئة مرة فلن يفيد ذلك شيئا لأن الله تعالى لم يجعل الإنسان ببغاء. إنه فعل الببغاء أن يكرر باللسان فقط دون أن يفهم شيئا. أما الإنسان فمن واجبه أن يقول باللسان بعد أن يفهمه ثم يعمل أيضا بحسبه. أما إذا قال باللسان فقط فلا بركة في الكلام باللسان وحده ما لم يحالفه القلب وما لم تكن الأعمال بحسب القول، بل سيكون ذلك مجرد كلام ولن تكون فيه ميزة أو بركة، لأنه مجرد كلام وإن قرأ القرآن الكريم أو استغفر. إن الله تعالى يريد الأعمال لذا أمرنا مرارا وتكرارا أن نكسب أعمالا صالحة، وما لم يكن الأمر كذلك فلن تصل إلى الله. يقول بعض الأغبياء بأننا أنهينا قراءة القرآن الكريم في يوم واحد. فليسألهم أحد، ما الفائدة من ذلك؟ لقد استخدمتم اللسان فقط في ذلك وعطّلتم الأعضاء الأخرى مع أن الله تعالى خلق الأعضاء كلها لتُستخدَم. لذلك ورد في الحديث أن بعض الناس يقرأون القرآن ولكنه يلعنهم لأن قراءتهم لا تكون إلا مجرد كلام دون عمل به."

إذًا، لا يمكن إصلاح الأعمال بالعلم الظاهري فقط بل يصلحها الله بحسب وعده عندما يعمل المرء بأوامر الله تعالى جاعلا الصدق وخشية الله نصب عينه. فكما قلت من قبل، لقد بيّن المسيح الموعود عليه السلام علامة المتمين إلى جماعته أنهم

يعملون بأوامر الله الـ ٧٠٠ الواردة في القرآن الكريم، ولم يذكر أنهم حائزون على علم كذا وكذا أو على مكانة كذا وكذا. فكل واحد منا بحاجة إلى أن يفحص أعماله ويجعل سلوكه مطابقا لهذا التعليم.

ثم يقول عليه السلام: إن الذي لا يجعل سلوكه موافقا لحدود الله فهو ساخر لأن الله تعالى لا يريد مجرد القراءة بل يريد العمل. فإذا قرأ أحد كتاب "قانون العقوبات الهندي" كل يوم ولم يعمل بحسب تلك القوانين بل ظل يرتكب الجرائم وظل يأخذ الرشوة مثلا فهل يُقبل العذر من مثل هذا المجرم عند إلقاء القبض عليه أنه يقرأ كل يوم كتاب "قانون العقوبات الهندي" أم سوف ينال العقوبة أكثر من غيره لأنه ارتكب الجريمة مع علمه؟ (*فالذي يعرف القانون ويقرأه بين حين وآخر فمجرد اطلاعه على هذه القوانين لن يُسقط عنه العقوبة، كلا بل إذا كان يقرأ القانون ومع ذلك يرتكب الجرائم فسينال عقوبة أكبر*) لذا ينبغي أن تكون مدة العقوبة أربع سنوات بدلا من سنة واحدة.

ثم يقول عليه السلام: باختصار لن ينفعكم مجرد الكلام، يجب أن يعرِّض المرءُ نفسه أولا للآلام لكي يُرضي الله تعالى، فإذا فعل ذلك فسوف يطيل الله عمره، فالله تعالى لا يخلف الميعاد فقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٨)، أي أن ما ينفع الناس يستقر في الأرض، فهذا حق تماما، إذ قد لوحظ عادة أن الشيء المفيد لا يضيعه أحد، فمَن يذبح الحيوانات كالحصان والثور إذا كانت مفيدة؟ لكنها حين لا تفيد ولا تنفع في شيء فعلاجها الأخير الذبح فقط. (فهذه الجمل جديرة بالتدبر، أي يصبح ذلك الشخص هو الحيوان الذي يذبحه صاحبه) حيث يفكر أنه سيربح جنيهًا أو جنيهين ببيع جلده، وينتفع بلحمه. كذلك فإن الإنسان إذا لم يعد صالحًا لشيء، وصار غيرَ نافع للناس، فإن الله تعالى لا يبالي به، بل يهلكه وفقًا للقول السائر: لِيَقِلَّ الكلأُ لكي يَقِلَّ الحطامُ والغبار.

لذا على كل مسلم أحمدي، مسئول وغير مسئول، أن يدرك أن عليه أن يكون أكثر نفعا للآخرين، وألا تكون غايته إلا نفع الآخرين. هذا الإعزاز وهذا المنصب وهذه الخدمة، لا تنفع صاحبها إلا إذا اهتم بنفع الآخرين بحسن النية، وإصلاحِ الأعمال، والتمسكِ بالصدق، والتحلي بالتقوى. يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

باختصار، اعلموا أن لا فائدة ولا تأثير في ثرثرة اللسان ومجرد الدعاوي الفارغة، بل لا بد مع القول من العمل الصالح بالجوارح وغيرها من الأعضاء، كما استعمل الله الصحابة عند نزول القرآن الكريم. هل اكتفى الصحابة بالإيمان باللسان فقط، أم رأوا العمل ضروريا أيضًا؟ لقد ضربوا أروع أمثلة الطاعة والوفاء بصدق حتى ذُبحوا كالمعز والخراف، ثم إن الفوز الذي حققوه والإكرام الذي نالوه من عند الله تعالى ليس بخافٍ على أحد.

لذا فعلينا أن نصبو إلى هذا الإكرام من عند الله تعالى.

يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

إذا أردتم الفوز بفضل الله وفيوضه فاعملوا شيئًا، وإلا ستُرمَون بعيدًا كالشيء الرديء. لا أحد يرمي من بيته الأشياء الغالية والذهب والفضة، بل يحافظ على كل ما هو غال ونافع بحرص شديد. أما إذا رأى في بيته فأرة ميتة رماها خارجه قبل أي شيء، كذلك فإن الله تعالى يحبّ عباده الصالحين دومًا، ويطيل أعمارهم، ويبارك في أعمالهم، ولا يضيعهم، ولا يميتهم ميتة خزي، أما الذي يهتك حرمة أحكام الله تعالى فإنه يدمّره. إذا أردتم أن يكترث الله لكم، فلا بد لكم أن تكونوا صالحين، لكي يكون لكم قدر وقيمة عند الله تعالى. إن الذين يخشون الله تعالى ويأتمرون بأوامره يجعل الله بينهم

وبين غيرهم فرقانا. إن سرّ نيل البركات أن يجتنب المرء السيئات، وحيثما كان مثل هذا الإنسان كان له قدر وقيمة، لأنه ينفع الآخرين، ويواسي الفقراء، ويرحم الجيران، ولا يلجأ إلى الشر، ولا يرفع قضايا باطلة، ولا يشهد شهادة زور، بل يطهّر قلبه، ويكون قلبه مشغولا بالله تعالى، ويسمى وليَّ الله.

أسأل الله تعالى التوفيق لكي نتمسك بالحق سائرين في سبل التقوى، وأن نطيع أحكام الله ورسوله طاعة كاملة، وأن يكفّر الله عنا سيئاتِنا، وأن نعمل صالحًا يرضاه دومًا، وأن نرث أفضاله تعالى، ونحقق الغاية التي أرسل المسيحَ الموعود عليه الصلاة والسلام لتحقيقها في هذا العصر، وأن ينظر إلينا نظرة حب دائمًا.

اليوم أيضًا هناك خبر مؤسف، فقد استُشهد أحد إخواننا في لاهور، بباكستان. إنا لله وإنا إليه راجعون. أقرأ عليكم الآن بعض بياناته، ثم بعد صلاة الجمعة سوف أصلي عليه صلاة الغائب أيضًا إن شاء الله.

اسم أخينا الشهيد هذا هو السيد جواد كريم ابن السيد كريم أحمد الدهلوي. كان يقيم في حي "غرين تاؤن" بلاهور. في ١٧ حزيران اقتحم أربعة مجهولين بيته ليلاً وأطلقوا عليه النار فاستشهد. إنا لله وإنا إليه راجعون. وبحسب تفاصيل الحادث التي وصلتنا، كان الشهيد مقيمًا في الطابق العلوي من داره الكائنة في حي "غرين تاؤن" بلاهور، بينما كان أخوه السيد امتياز عدنان مقيمًا في الطابق الأرضي مع أمهما. فجاء إلى الدار أربعة مجهولين في نحو الساعة الثامنة إلا الربع ليلا، فظل اثنان منهم في الخارج بينما دخل اثنان في المرآب، ولعلهما سألا السيد كريم أن يخرج إليهما هناك، فخرج، ثم حصل اشتباك بينه وبين هذين الآتيين في المرآب، فأطلق أحدهما النار عليه، فأصابت الرصاصة قلبه ونفذت من الطرف الآخر. وعند سماع الضجة خرج أخوه المقيم في الطابق الأرضي، فأطلق المهاجمون طلقات في الهواء، وهربوا قائلين له: الآن سيكون دورك. نُقل الشهيد إلى المستشفى ولكن فاضت روحه في الطريق.

دخلت الأحمديةُ في عائلة الشهيد عن طريق والد جده لأمه حضرة حكيم محمد حسين من منطقة "بلو غره" بدلهي بالهند، الذي بايع على يد المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وكان أول مسلم أحمدي في العائلة. أما والد جد الشهيد لأبيه السيدُ إعجاز حسين، فبايع المسيحَ الموعود عليه الصلاة والسلام عبر رسالة ولكنه لم يتشرف بالبيعة على يده عليه الصلاة والسلام. إذًا فإن والد جد الشهيد من طرف أبيه كان من صحابة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. أما جد الشهيد السيد بابو نذير أحمد فظل يخدم الجماعة طويلا بصفته أميرًا لجماعتنا في دلهي.

يبلغ الشهيد ٣٣ عامًا. كان منخرطًا في نظام الوصية المبارك. كان يعمل عملا خاصا. زوجته طبيبة وقد جعلتْ الشهيد مشرفًا على إدارة عيادتها. كان الشهيد ليّن الطبع. كان احترام الكبار من أبرز ميزاته. كان مخلصًا، متعاونًا مع الجميع، مواسيًا لكل إنسان، سباقًا في خدمة الجماعة. كان الأحمديون اتخذوا بيته مركزًا لأداء الصلوات. كان في صغره زعيمًا للأطفال، ثم ظل يخدم الجماعة في مجلس خدام الأحمدية على الصعيد المحلي وعلى صعيد المحافظة أيضًا.

أخبرتْ والدة الشهيد جواد كريم يوم استشهاده أنه حكى لها رؤيا له وقال: رأيت أن نفرًا من الناس يضربونني وأخي الأكبر واقف بالقرب مني ولا ينقذني منهم.

وهذا ما حصل على أرض الواقع، حيث خرج أخوه الأكبر عند سماع إطلاق النار، ولكنه لم يستطع إنقاذه. وهكذا تحققت رؤيا الشهيد على هذا النحو.

كان الشهيد سخيًا جدًا في دفع التبرعات، كما كان يحث الآخرين على دفعها. لقد قال لأخيه قبل استشهاده بيوم: لو أني متُّ فاعلم أنني قد دفعتُ كل ما علي من التبرعات، وسوّيت حسابي تمامًا.

يقول رئيس الجماعة في منطقة الشهيد: كان أحد أبناء الجماعة في منطقتنا متكاسلا في دفع التبرعات، فظل الشهيد على صلة معه، حتى جعله نشيطًا في دفع التبرعات وليس ذلك فحسب بل جعله ينخرط في نظام الوصية بالجماعة أيضًا.

لقد ترك الشهيد أرملته وثلاثة أولاد صغار، حيث تبلغ بنته هبة الجواد ٦ سنوات من عمرها، وابنه طلحة جواد يبلغ ٣ سنوات من عمره، أما ابنه الأصغر فعمره ٤ شهور فقط. وهناك أخ للشهيد. كانت والدته على قيد الحياة عند استشهاده، ولكن بعد أن نُقلت جثة الشهيد إلى ربوة لتدفن هناك، أصيبتْ والدته بنوبة قلبية فتوفيت. إنا لله وإنا إليه راجعون. اسمها رضية كريم الدهلوية ابنة حكيم محمد أحمد الدهلوي. هاجرت من دلهي إلى باكستان حيث أقامت عائلته أولاً في "خانيوال"، ثم بعد زواجها انتقلت إلى لاهور. كانت تساهم في خدمة الجماعة بولع وشوق. عملتْ في حقل التدريس، وتقاعدت وهي مديرةُ مدْرسة. كانت من مواليد عام ١٩٤٧. عملت سكرتيرةً للإصلاح والإرشاد في الجماعة في منطقتها. كان لها دور كبير في تحميس أولادها للتسابق في خدمة الجماعة. رفع الله درجاتها وابنها الشهيد، ونصر الله ابنها الشهيد وحمى أولاده، ووثّق صلتهم بالجماعة أكثر. عندما اتصلتُ بأهل الشهيد للتعزية قال لي أخوه: إننا جاهزون لتقديم حياتنا من أجل الجماعة في أي وقت، ولن تروا منا الجبن إن شاء الله تعالى.

ندعو الله تعالى أن يحميهم، وإذا كان الله تعالى قد زوّدهم بهذه الشجاعة فنسأله تعالى أن يحميهم جميعًا في كنفه بفضله دائمًا. وكما قلت سوف نصلي على الشهيد وأمه بعد أداء صلاة الجمعة إن شاء الله.